تفسير سورة البقرة الحلقة ١٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)**

**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)**

بعد أن قسمت الآيات السابقه الناس إلى ثلاث مجموعات ثلاثة أقسام مجموعة هم المتقون ابتدأت وتكلمت **"ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"** تكلمت عن مجموعة المتقين والمجموعة الثانية هم الكافرون الذين يعلنون بكفرهم ولا يقبلون بالدين لا ظاهرا ولا باطنا المجموعة الثالثة أيضا تكلمت عنها هم المنافقون وقد مر تفصيل الكلام في أوصاف المنافقين وأن النفاق قد يكون في أمر في مرتبط بأصل العقيدة وقد يوسع المعنى لأكثر من ذلك جاءت هذه الآية جاء فيها الخطاب من الله للناس كافة أن اختاروا وانتخبوا الدين الحق واعبدوا الله الذي خلقكم والذين من قبلكم وهيئ لكم الأسباب أسباب العيش في الحياة بما يتناسب معكم فتأملوا في ذلك وليكن هذا التدبر وهذا التأمل طريقا للعبادة وطريقا للتقوى.

**البيان**

**"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** خطاب عام لا يختص بقبيلة ولا بلون ولا بعرق وإنما خطاب عام للبشر قاطبة وهذا يدل على أن القرآن من أول نزوله لم يكن قد جاء لفئة معينة أو خاصة وإنما للناس كافة في أي مكان فلا يقال مثلا أنه كان النبي صلى الله عليه وآله جاء وعنده طموحا يسيطر على مجموعة من الناس ويستغلهم ثم تطور الطموح إلى غير ذلك كما يكون في الممالك والمملكات التي تسيطر على الناس وتستعبد الناس النبي صلى الله عليه وآله جاء بهذا القرآن ومن أول مجيئه هو للناس كافة.

**"اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ"** العبادة ضرورية للدين ضرورية دينية ولابد أن تكون فلا يمكن أن يستغنى عن العبادة بأي شيء كان البعض مثلا يقول لا أحتاج إلى الصلاة أنا أستقيم بنفسي وأهم شيء أنني في معاملتي مع الناس أكون مستقيما وصالحا في معاملتي مع الناس هذا الكلام خطأ القرآن يؤكد على ضرورة العبادة وأنه من غير عبادة من غير صلاة عمله باطل فلا يستطيع أن يقول أنني في علاقتي وفي معاملاتي في المؤسسات في الشركات أنا مستقيم وكفى لا يكفي ذلك بل يقول الله تعالى **"إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"** الذي يترفع عن العبادة ويقول أنا مستقيم في طريقي وفي سلوكي وفي عملي لكني لا أصلي لا أعبد هذا مصيره تهديد و وعيد من الله بأن يكون في جهنم وقوله تعالى **"فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "** الشرك حرام وينافي العبادة الخالصة لابد أن يكون أتكون العبادة لله فقط والدعاء والطلب في العبادة المخصصة الواردة بصورتها لله سبحانه وتعالى فقط العبادة هي شيء من شكر نعمة الواجب عقلا لذلك ذكرت الآية بعض الجزئيات والنعم لتنبه الإنسان لهذه النعم فيستنتج من خلالها برهانا برهان ضرورة شكر المنعم شكر المنعم ضرورة عقلية العقل يدرك ذلك فأنت مثلا لو رأيت شخصا جاءه الطفل قدم له وردة ولم يعره اهتمام تستصغر هذا الموقف لو أساء إليه تستصغره أكثر وأكثر بل تجد الموقف الطبيعي أنه **"هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ"** شخص أنعم عليك أعطاك شيء تتوجه إليه بالشكر **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"** إذاً أهمية التدبر في خلق الله للإنسان نفسه مهمة جدا خلقكم وفي نعم الله أيضا يكفي الإنسان وفي أنفسهم لأنه يتأمل في نفسه لو تأمل الإنسان في نفسه ورأى أي جزء يضع يده ليتأمل فيه نظر إلى عينه كيف يبصر ما هي الشروط المطلوبة حتى يستطيع الإنسان البصر والنظر للآخرين يقولون حتى نقل الألوان للعين بحيث أنه ينظر إلى شيء ملون تحتاج إلى ما شاء الله من الشروط والعصيات يعني أعصاب خفيفة رقيقة جدا أعدادها خيالية لو نقصت واحدة لم يحصل اللون كما ينبغي، هذه الشروط وهذه الجزئيات الكثيرة لكل جزء في أجزاء الإنسان لو تأمل الشخص في نفسه كيف خلق؟ هل يمكن أن يكون صدفة؟ أو يكون هناك خالق مدبر منعم؟

لابد أن يستنتج ذلك ولا يستطيع أن يقول العالم الآن وصل للتكنولوجيا وكمبيوترات وغير ذلك هذه كلها لا تعادل شيء في خلق الإنسان وفي جزء أو عضو من أعضاء الإنسان لو تأمل الإنسان فيها إضافة إلى ذلك أن الإنسان إنما خلق وركب وصنع هو نظر لشيء وجمع واستنتج يعني جميع الاختراعات استنتجها من أمر ومن أمر جمع هذا وهذا وابتكر، الذبذبات لم تأتي هكذا إنما نظر كما يقولون مثلا الدولفين ولغيره والمراسلات بين الحيوانات والكائنات واستنتج تتبع واستنتج ولكن الله سبحانه وتعالى تقول الزهراء:« ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ولا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته وصورها بمشيئته»

الله سبحانه وتعالى أنشأ من غير أن يكون هناك مثال ليستنتج منه ويخلق مثله إذاً التدبر مهم فالقرآن يشير في هذه الآيات تدبر أيها الإنسان أنت مخلوق كيف وجدته وما هي خصائصك انظر إلى ذلك الذي بعد ذلك تقول **"الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا"**

 من نعم الله على الإنسان جعل الأرض مناسبة للحياة في مناخها وفي تضاريسها وفي كل شيء بحيث تتلائم مع الإنسان التامل فيها لو زادت كما يقولون زاد الأكسيجن قليل تحترق الأرض نقصت قليل يموت الإنسان جميع الأمور كلها مناسبة يطلب من الإنسان أن يتدبر فيها لتكون طريقا لإيمانه "**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً"** تشير أيضا إلى السماء و هنا طبعا معنى السماء له معاني كثيرة و لكن في هذه الآية لا تعني السماوات السبع و الكواكب وغير ذلك وإنما تعني السماء طبقة السماء هذه الطبقات "**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً"** بناء شنو بناء؟

يعني محكمة السماء سقف مرفوع بمعنى موجود طبقات محكمة كالبناء هذا البناء المحكم لا يمنع دخول الأمور المفيدة الأشعة النافعة للإنسان ولكنه يمنع الأشعة الضارة ولكنه يمنع الصخور والنيازك الملتهبة أن تصل يدمرها وتنتهي حفاظا للإنسان إذا تأمل الإنسان فيها وفي نفس الوقت فيها من الجمال ما فيها عن الإمام الصادق سلام الله عليه يقول للمفضل عن السماء فيشير في تفسير الآية أن السماء المقصودة هنا هذه الطبقة فيقول:« فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر»

 الإمام يقول له تأمل يعني في جميع الجهات إذا تأملت سوف تكون علامة يدعوك للإيمان بالله سبحانه وتعالى وتواصل الدعوة للتدبر الموجب للعبادة والشكر فيقول تعالى  **"وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ"**  أنزل من السماء ما يخرج به ثمرات هذه الثمرات المصدر ماء والمواد العضوية موجوده تخرج الثمار بعضها حلو وبعضها حامض وبعضها حار وبعضها أنواع وأشكال مختلفة من الذي أوجدها وأعطاها هذه الخصائص؟ لوحدها؟ صدفة؟

 لابد أن تكون علامة على وجود الخالق، العبادة الواعية هي التي تحقق التقوى اعبدوا الله ولكن بالتدبر فتكون العبادة واعية **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"**

إذاً العبادة سوف توصلك للتقوى الإنسان خلق ليكون مفلحا النتيجة الأخيرة لخلق الإنسان أن يكون مفلحا وقبله كريما وقبله ذا يقين يقول تعالى **"وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ"**

 حتى تصل إلى درجة اليقين ويقول تعالى **"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"** ويقول تعالى **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"** ما هي حقيقة التقوى؟

وأختم الكلام

 التقوى هي الإحساس بالمسؤولية التقوى الحقيقية أن يكون الإنسان مسؤول في حياته ينظر عاقبته فيتصرف في كل شيء تحت مسؤولية أن كل فعل أتى به سوف أحاسب عليه نتيجته أمامي فيكون ذا مسؤولية وإذا تحققت التقوى أفلح الإنسان **"وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"** سوف تصل للنتيجة الأخيرة وهي الفلاح.

و الحمد لله رب العالمين